بلغة قاضينا إذا زلزلت ... كانت له من فوقها الواقعة .

تكاثر ألهاه من عجبه ... حتى غدا ملقى على القارعة .

فأظهرت زوجته عندها ... تضايقاً بالرحمة الواسعة .

زين الدين بن المرحل محمد بن عبد الله بن عمر الشيخ الإمام العلامة الورع الخير زين الدين ابن علم الدين ابن الشيخ زين الدين ابن المرحل الشافعي هو ابن أخي الشيخ صدر الدين كان من أحسن الناس شكلا وربي على طريق خيرة في عفاف وملازمة اشتغال وانجماع عن الناس وكان عمه يحسده ويقول : لا إله إلا الله ابن الجاهل طلع فاضلاً وابن الفاضل طلع جاهلاً يعني الشيخ صدر الدين بذلك انه عينه قاضي القضاة شمس الدين ابن الحريري للقضاء وأشار به على السلطان إما لقضاء مصر أو لقضاء الشام فلم يكن فيه ما منعه من ذلك غير صغر سنه وحضر عل البريد من مصر وتولى تدريس الشامية البرانية عوضاً عن الشيخ كمال الدين ابن الزملكاني لما توجه قاضياً بحلب وأخبرني جماعة أن دروسه لم تكن بعيدة من دورس الشيخ كمال الدين لفصاحته وعذوبة لفظه وكان الفقه وأصوله قد جودهما وأما العربية فكان فيها ضعيفاً وناب لقاضي القضاة علم الدين الأخنائي بدمشق في الحكم وتوفي سنة ثمان وثلثين وسبع ماية .

أبو عبد الله ابن الصايغ محمد بن عبد الله بن محمد الأموي المروي الشيخ الأديب محب الدين أبو البقاء المعروف بابن الصايغ المغربي حضر إلى الديار المصرية رأيته بالقاهرة مرات واجتمعت به في حلقة الشيخ أثير الدين أبي حيان وغيرها وسمعت أنا وهو صحيح البخاري بقراءة الشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحل النحوي على الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس وأخيه أبي القسم بالظاهرية بين القصرين وأتى بفوايد تتعلق بالعربية غريبة وقت السماع فوجدته يستحضر من اللغة شيئاً كثيراً ويعرف النحو والعروض معرفة جيدة إلى الغاية وينظم الشعر الفايق أنشدني من لفظه لنفسه ما امتدح به القاضي نجم الدين محمد بن محمد الطبري قاضي مكة لما أنشده لمذكور لنفسه ما تقدم ذكره في ترجمته وكتبها لي بخطه والتزم الهاء قبل الكاف وهو : .

شرع الهوى هوني لعزة جاهك ... فارثي لذلة موقفي بتجاهك .

رقي لجسم رق من دنف الهوى ... وشفاه ما تحويه حو شفاهك .

لا تعجبي إن ذبت سقماً واعجبي ... أن ليس إلا سقم طرفك ناهكي .

وسن نفى وسني فنمت ولم أنم ... ما ليلة الساهي كليل الساهك .

بطحاء وادي الأثل لولا تيهها ... وتفارها ما حمت في أتياهك .

ولما وخدت بها شوازب ضمراً ... أوردتها عشراً ثغاب مياهك .
بدلت سدرك بالسدير وما حوى ... وبفايح النسرين فيح عضاهك .
وهجرت طيب كرى وواصلت السرى ... بمشقة التهجير في ادماهك .
ادعوا بسعدى أين يمن سراي إذ ... أكرهتم وعففت عن إكراهك .
نصبوا علي رخاخهم لكنهم ... شاهت وجوههم لصولة شاهك .
جبت الشعاب وآل شعبة عندما ... سدل الظلام رداءه برداهك .
اعشوا إلى حلى الترايب خفية ... إذ غمض الأتراب عن أفكاهك .
أدني اللجين لعسجدي شاحب ... صدئ الإهاب بما اكتساه ساهك .
أتى شممت الزهر بل عيونه ... طل فأنبهه لدى انباهك .
اسقي عهاد الدمع عهداً باللوى ... أنسيته لشفاي لا لشفاهك .
زمناً أردد أهة المشغوف من ... حرقي فتحكيني ترجع آهك .
أنضارتي اشتغل المشيب فأنضبت ... شعل الحشا ما راق من أمواهك .
ينهى وينهكني مشيب صنته ... ولما عرفت بصون ناه ناهك .
حلك المفارق قد تنفس صبحه ... يا نفس خبي من كرى استعماهك .
يستبدهونك للنسيب فشرفي ... بشريف مكة منتج استبداهك .
قاضي الشريعة والمقيم منارها ... حيث المقام وحيث بيت إلاهك .
بلدت في جوب البلاد ومدحه ... يشفي فينفي تهمة استبلاهك .
لولاه أوشكت الخمول فلازمي ... شكر الذي سنى لقاه لقاهك